المحاضرة الحادية عشرة

نسب المتنبي
- ٣ -

اتصاله بقبائل اليمن - تأثير الدم - فخره بقومه - فهم الناس لشعره - اهله

استوقفتكم وانا اطوف بكم في « خد العذراء » على الجانب الشرقي من هذا البلد الطيب ، مهبط الشعر والعبقرية ، وذكرت لكم ان اهل اليمن الذين نزلوا الكوفة في اول تمصيرها كانت خططهم ومنازلهم في هذا الجانب ، وهو خير الجانبين ، والمتنبي ولد في كندة وهي محلة في الكوفة ، فكأن اليمانيين الذين استوطنوا الكوفة ، احبوا ان يحيوا فيها اسماء بطونهم ، فسموا محلة كندة ، وكندة ابو حي من اليمن ، وسموا محلة ثانية السبيع ، والسبيع بن سبع ابو بطن من همدان، وهمدان قبيلة باليمن، وقد جاء ذكر المحلتين في شعر ابي الطيب ، وروبت لكم البيت الذي تضمنها :

امنسي السكون وحضرموتا ووالدتي وكندة والسبيعا

فلننظر هل للمتنبي اتصال بهذه القبائل اليمانية وما هو نسب المتنبي .

لست ادري كيف يؤلفون في مثل هذا العصر ، عصر التنقيب والاستقصاء كتاباً يبحث بجذافيره عن حياة المتنبي وخلقه وشعره واسلوبه ، من دون ان يهتموا بالبحث عن اصل المتنبي ، سواء أكان هذا الاصل ظاهراً بعض الظهور ام كان خفياً بعض الخفاء ، لست ادري كيف يفهمون كلام الذي يقول :

وفؤادي من الملوك وان كان لساني يرى من الشعراء

من دون ان يعتنوا بالسؤال عن آباء الذي يحمل هذا الفؤاد ، فاذا خفي علينا اصل المتنبي ، خفي علينا ادراك روحه الذي يترقرق في شعره ، واذا نحن لم نفهم روح الشاعر فما الذي نفهمه من شعره .

اجمع الرواة على ان شيخنا ابا الطيب اسمه احمد ، وقد صرح باسمه في شعره .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تحمل المسك عن غدائرها الريح وتفتر عن شنيب برود
جمعت بين جسم احمد والسقم وبين الجفون التسهيد

واجمعوا على ان اباه اسمه الحسين ، فالمتنبي احمد بن الحسين ، ولكنهم اختلفوا في اسماء اجداده ، فقال بعضهم : هو احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد ، وقال آخرون : هو احمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار ، ولئن اضطربوا في اسماء اجداده فقد اطبقوا على ان ابا المتنبي جعفي . قال صاحب طبقات الادباء: وذكر القاضي ابوالحسن ابن ام شيبان الهاشمي الكوفي ان عيدان كان جعفياً صحيح النسب . وعيدان السقاء لقب والد المتنبي ، فقد هدأ بالنا من ناحية نسب ابيه ، فلننظر اليه من ناحية نسب امه فلنستعن بطبقات الادباء فقد جاء فيه :

قال ابو الحسن: وكانت جدة المتنبي همدانية صحيحة النسب لا اشك فيها وكانت جارتنا وكانت من صلحاء النساء الكوفيات ، من هنا يتبين لكم ان والد المتنبي جعفي وان جدته همدانية ، فانكشفت لنا ناحية من نسبه نستطيع الاستعانة بها فللمتنبي اصل من الاصول ، فلنتدفق هذا الاصل على قدر الامكان .

قلت : نزل الكوفة في اول امرها جماعة من اهل اليمن ومن هذه الجماعة همدان ومذحج ، وبهمدان ومذحج استعان زياد وهو امير البصرة والكوفة على القبض على حجر ابن عدي صاحب فتنة الكوفة في ايام زياد وعلى شباب همدان ومذحج في الكوفة كان يثني زياد فاذا علمتم ان بين السنة التي مصّرت فيها الكوفة وهي سنة ١٧ وبين السنة التي ولد فيها المتنبي وهي سنة ٣٠٢ ثلاثة قرون على التقريب واذا احطتم من جهة ثانية باسماء ثلاثة من اجداد المتنبي تحقق عندكم ان اصل المتنبي من هذه القبائل اليمانية التي رمت اظلالها على الكوفة في اول بنائها .

والد المتنبي جعفي وجدته همدانية فالمتنبي يماني الاصل من الناحيتين من ناحية ابيه ومن ناحية امه وفي فضائل بيوتات اليمن يقول عبد الله بن عباس لبعض اليمانية : لكم من السماء نجمها ومن الكعبة ركنها ومن الشرف صميمه .

فلننظر الى المتنبي من ناحية ابيه . كان الحسين جعفياً صحيح النسب وجعفي على وزن كرمي من بطون سعد العشيرة وانما سمي سعد العشيرة لانه لم يمت حتى ركب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

معه من ولده وولد ولده ثلثمائة رجل وسعد العشيرة من قبائل مذحج وبيان مذحج اقر ابو عبيدة فقال : ولسان العرب مذحج .

ولننظر اليه من ناحية جدته . كانت جدته همدانية صحيحة النسب، و بفروسية همدان اعترف ابن الكلبي فقال : وهمدان احلاس الخيل وفي همدان يقول الشاعر :

ناديت همدان والابواب مغلقة ومثل همدان سنّى فتحة البـاب

كالهندواني لم تفلل مضـاربه وجـه جميل وقلب غـير وجاب

وفيهم يقول علبي :

فلو كنت بوابًا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

ومن همدان اعشى همدان وهو شاعر كوفي من شعراء الدولة الاموية وكان النعمان بن بشير عامل حمص يقول فيه : هذا شاعر اليمن ولسانها .—

فالفروسية والصلاح من جملة اخلاق القبائل التي ينتسب اليها المتنبي والبيان في هذه القبائل .

اذا احطنا بهذا كله هان علينا ان نفهم كلام الذي يقول وفؤادي من الملوك ... فان الذي ينتسب الى قبائل فيها شيء لا بل اشياء من الفروسية والصلاح وان الذي ينتسب الى جدة صالحة موصوفة بالحزم لا يستغرب فخره ان فخر .

نعم اذا احطنا بهذا كله هان علينا ان ندرك روح المتنبي واسرار خلقه في الآتي وليس من الضروري ان تكون جدة المتنبي صالحة او ان يكون جده او خاله او عمه فارسًا من الفرسان ، حتى يتوارث المتنبي عنهم الصفات وانما يكفي ابا الطيب ان يكون احد اهل بيته في القديم قد جمع شيئًا من هذه الصفات حتى ينتقل اليه هذا الشيء على سبيل الميراث فالمرء يتوارث محاسن الصفات ومقابحها عن اهله في قربهم منه وبعدهم عنه فقد يتوارث عن ابيه او خاله او عمه وما بينه وبين واحد منهم الا قليل من الزمن وقد يتوارث عن احد اقاربه في قديم الدهر مهما كان مدى الايام بينه وبين هؤلاء الاقارب متراخيًا فالعرق نزاع .

قرأت مقالاً في مجلة ببار يز لعالم من العلماء خلاصتها اننا لو حوّطنا في هذه الايام بلاد الترك بعد ان تغيرت سحناتهم عن سحناتهم القديمة ومنعنا الامم عن مخالطتهم وحصر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الترك في بلادهم فلم يصهروا الى احد من غيرهم ولم يصهر غيرهم الى احد منهم ودام هذا الحصر الف سنة لرجعت هيآتهم بعد الف سنة الى هيآت الترك القدماء المعروفين بلونهم الخاص وبتركيبهم الخاص وبصفاتهم الخاصة .

من هذا يسهل عليكم ان تعتقدوا ان المتنبي انتقلت اليه صفاته التي سوف تنكشف لكم في كلامي على اخلاقه من احد اقاربه في الحديث او في القديم ولا عجب في هذا مادام ابوه جعفياً ومادامت جدته همدانية وفي جعفي وفي همدان صفات تشبه صفات ابي الطيب .

* * *

للدم تأثير في العبقريات واظن انكم لا تزالون تذكرون مذهب (تين) في النقد فقد أراد (تين) ان يجعل للجنس وللبيئة وللزمن تأثيراً في القرائح والامزجة فمن البشر على مايقول من يجمع صفات الشجاعة والفطنة ومنهم من يُعرف بالبلاهة وقصر المدارك ومنهم من يعلو في التصورات والمخترعات ومنهم من يسف ومنهم من يختص بطائفة من الاعمال وتقوى فيهم طائفة من الغرائز كما ان من الكلاب مايصلح للعدو والركض ومنها ما يصلح للصيد ومنها ما يصلح لحراسة الدور والمواشي .

وقد ذكرت لكم ان (تين) قد أدخل عناصر حديثة في دراسة الآثار الادبية الا ان مذهبه لايخلو من شيء من الافراط ، وقد أشار الاستاذ (برونتير) في اثناء كلامه على هذا المذهب الى ناحية الافراط ففي نظر (تين) ان بعض أجناس البشر يصلحون لشيء لاتصلح له اجناس غيرها فقال (برونتير) لو صح هذا النظر على الاطلاق لامتنع علم ماوراء الطبيعة في الشعوب السامية مثلاً لان هذا العلم مشهور في الشعوب الآرية في الهند وعلى الرغم من هذه الشهرة فقد كان اكبر عالم في علم ماوراء الطبيعة في العالم كله رجلاً سامياً من بلاد البرتغال وهو سبينوزا .

ولئن كان مذهب (تين) فيه شيء من الافراط فهو لايخلو من شيء من الحقائق . فان للدم تأثيراً في العبقريات . فقد تشتهر أجناس من البشر بامور لايشتهر بها غيرها . وقد تعرف قبائل باشياء لايعرف بها غيرها . كانوا يقولون مثلاً : جرأة بني الحرث . فتك مراد . بأس زبيد . كيد جعفي . مغار طيء الى غير ذلك . وقد يتوارث اواخر القبيلة المحاسن والمساوي عن اوائلها . فالمتنبي انتقلت اليه صفاته من احد أقاربه في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جعفي او في همدان على سبيل الارث . ولا يمكن ان يجمع المتنبيُّ صفاته المعروفة من دون ان تكون مجموعة في احد أقاربه .

من كل ما تقدم استخلص ان ابا الطيب وقد صح نسبه في جعفي وفي همدان ولد وفي طبعه اشياء متوارثة عن اهله في هاتين القبيلتين . فهو لم تحدثه نفسه بهذه الاماني البعيدة من دون ان يكون منتسباً الى اهل قد حدثتهم انفسهم بمثل هذه الاماني . واذا لم نشأ ان نفهم هذا كله فكأننا لا نشأ ان نفهم روح ابي الطيب .

فالشيخ ابو الطيب يماني الاصل من ناحية ابيه ، ومن ناحية أمه فهو عريق في يمانيته . وفي عروبيته . وسأتكلم في الاسبوع الآتي بكلام على تغنيه بعروبيته . ومن الغريب ان المتقدمين من المؤلفين وفي جملتهم ابن خلكان وصاحب طبقات الادباء والثعالبي وصاحب الصبح المنبيُّ اقتصروا في كلامهم على ابي الطيب على ان قالوا في ابيه انه جعفي ، وفي جدته انها همدانية من دون ان يبحثوا عن أسرار هذه الصفات التي اجتمعت فيه . ومنهم من لم يشر الى أصله ، وأغرب من هذا كله ان صاحب كتاب ابي الطيب المتنبيُّ الذي نشر كتابه في مصر من تسع سنين ، قد اثبت ابا الطيب في اسوإ المثابت ، ورده الى ارذل الاصول ، ولم يكتف بهذا كله فذهب مذهباً أبعد ، فقد ذهب الى ان ابا الطيب نفسه كان يعترف في بعض شعره بوضاعة نسبه وانحطاط اصله ومن هذا الشعر قوله في رثاء جدته :

ولو لم تكوني بنت اكرم والد لكان اباك الضخم كونك لي أُمّا

فظن ان ابا الطيب ينفي عن جدته كرم والدها ، وعجيب طراز هذا الفهم ، فابو الطيب يقول لجدته في هذا البيت : لو لم يأتك الكرم من نواحي ابيك لاتاك من ناحيتي ، فكأنه يقول : انت بنت اكرم والد ، وانت أم اكرم ولد ، فقد جمعت اليك الكرم من ناحية ابيك ومن ناحية ابنك ، ولعمري كيف ينفي الكرم عن قومه من يقول في القصيدة نفسها :

واني لمن قوم كأن نفوسهم بها انف ان تسكن اللحم والعظما

فاذا كان القوم الذين تأنف نفوسهم ان تسكن اللحم والعظم لا يملكون من كرم الاعراق شيئاً فمن الذي يملك هذا الكرم ؟ أفيملكه اللاصقون بلحومهم اللازقون بعظامهم الذين لم يخلقوا في جوٍّ اعلى من جو الحيوانية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكما انه اساء الى ابي الطيب في فهم هذا البيت فقد اساء اليه في فهم ابيات غيره من جملتها قوله :

ولست بقانع من كل فضل بان أعزى الى جد همام

فظن ان اباالطيب ينفي عن جده عظيم همته والمتنبي يقول ولا يحتاج قوله الى دليل لست أقنع من الفضل بانا كون منسوباً الى جد عظيم الهمة وانما أمنيتي ان اجمع شيئاً من الفضل بنفسي فأبوالطيب يعتقد انه فاضل وابن فاضل .

من جملة هذه الابيات التي ساء فهمهم لها قوله :

فخر الفتى بالنفس والأفعال من قبله بالعم والأخوال

او قوله لباحث عنه :

انا ابن من بعضه يفوق ابا الباحث والنجل بعض من نجله

انما يذكر الجدود لهم من نفروه وانفدوا حيله

فلا يستنبط من هذا ان المتنبي لا يفخر بعمومته وخؤولته وانما المتنبي يرجع في هذه الابيات الى شنشنته ، فهو يرى ان الفخر بالنفس و بالفعل أعظم من الفخر بالعم و بالخال وهذا لا ينفي عن ابي الطيب فخره بالعمومة والخؤولة وانما يؤيده فكأنما المتنبي يريد ان يجمع الى تالد الفخر طريفه وهذا أبعد مجالات الهمة .

ولما قال :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجدودي

و بهم فخر كل من نطق الضاد وعوذ الجاني وغوث الطريد

لما قال هذا ظنوا انه يعتقد ان قومه لا شرف لهم وانما الذي عناه بقوله هذا ان قومه شرفاء وانهم فخر العرب كلها ولكنه اشرف من قومه .

ما رميت في كلامي هذا الى الدفاع عن منبت المتنبي وعن اخلاقه وانما اردت ان انبه على خطإ وقعوا فيه مما يتعلق بفهم شعر المتنبي وما اظن انهم انبتوا اباالطيب هذا المنبت الا لان والده كان سقاء في الكوفة حتى قالوا :

اي فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشيا

عاش حيناً يبيع في الكوفة الماء وحيناً يبيع ماء المحيا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فلو كان الحسين الجعفي من اصحاب النعم افكان الناس ينظرون الى المتنبي وابوه غني نظرهم اليه وابوه سقاء ، فالمال وحده هو الذي حرّف الانظار ، ومتى كان المال مقياس الاصول وكرم الاعراق ، افلا نجد في ايامنا من ابنـاء سلاطين آل عثمان ومن حاشية قياصرة الروس الذين شتتت السياسات شملهم في البلاد من يشتغل باحقر الصناعات حتى لا يموت من الجوع، افلا نجد من اصحاب النعم رجالا لا يعلم الا الله مقادير اخلاقهم الفاسدة ، انا لا اريد ان اقول ان للمتنبي نشأ الملك في بيته قديماً ولكني لا اعتقد انه وضيع ولا اريد ان اعتقد انه كان يعترف بوضاعته .

اما وقد فرغت من الكلام على نسب ابي الطيب . فلننظر الى اهله في عصره وايامه فقد اشار في شعره الى امه والى جدته .

اما جدته فقد كان غائباً عنها في اقطار الشام ، وطالت غيبته هـذه ، وقد ارسلت اليه كتاباً تشكو فيه شوقها اليه . وطول غيبته عنها . فتوجه نحو العراق ، ولم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك ، فانحدر الى بغداد وكانت جدته قد يئست منه ، فكتب اليها كتاباً يسألهـا ان تسير اليه فقبّلت كتابه وحمت لوقتها مسروراً به وغلب الفرح على قلبها فقتلها فرثاها بقصيدة ملأها من رقة العاطفة وصدقها سأتكلم فيها في اثناء كلامي على شعره وفي هذه القصيدة ابيات تدل على شدة محبة جدته اياه . وعلى شدة محبته اياها فمن قوله في حبها اياه :

لك الله من مفجوعة بحبيبها قتيلة شوق غير ملحقها وصما

ومن قوله في حبه اياها :

احن الى الكأس التي شربت بها واهوى لمثواها التراب وما ضما

ولا يبعد ان جدته كانت تقرأ فكانت تتعجب من خط كتابه اليها ومن لفظه :

تعجب من خطي ولفظي كأنما ترى بحروف السطر اغربة عصما
وتلثمه حتى أصار مداده محاجر عينيها وانيابها سحما

وقد وصفها بالحزم فقال :

فوا أسفا الا اكب مقبلا لرأسك والصدر الذي ملئا حزما

واني أعتقد ان ابا الطيب قد توارث عن جدته هذه بعض صفاتها من جملتها هذا الحزم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

واما أمه فلما اعتقل وطال اعتقاله كتب الى الوالي ابياتاً أشار فيها اليها :

بيدي ايها الامير الاريب لا لشيء الا لاني غريب
او لام لهـا اذا ذكرتني دم قلب في دمع عين يذوب

وفي هذا البيت عاطفة الامومة والبنوة ولما كان في ارجان عند ابن العميد عمل شعراً في ابن العميد قال له في جملته :

يا ليت باكيةً شجاني دمعها نظرت اليك كما نظرت فتعذرا

ولكننا لا نعرف هذه الباكية التي بكت على فراق ابي الطيب وأحزنه دمعها .

وكان له ابن اسمه محسد صحبه الى بلاد فارس و يظهر ان محسداً كان شاعراً . نقل صاحب الصبح المنبئ عن ياقوت ان المتنبي كان جالساً بواسط فدخل عليه رجل وقال : نريد ان تجيز لنا قول الشاعر :

زارنا في الظلام يطلب سترا فافتضحنا بنوره في الظلام

فرفع ابوالطيب رأسه وكان محسد واقفاً بين يديه وقال :

يا محسد قد جاءك بالشمال فأته باليمين فقال محسد ارتجالاً :

فالتجأنا الى حنادس شعر سترتنا عن أعين اللوام

وقد قرأ الشيخ اليازجي انه وجدت له في احدى نسخ الديوان أبيات بعد فراره من مصر يظهر فيها شوقه الى ابنه محمد والى شيخ يقال له الحسين ، من هذه الابيات :

لولا محمد بل لولا الحسين لما رأيت رأيي بوهن العزم مختلطا
هذا هواي وذا ابني خط مسكن ذا بمصر والشام القى دائماً خططا

والابيات كلها ثمانية وفيها اشارة الى هرب ابي الطيب من مصر ولكنها لا تخلو من تحريف اذا صحت اما محمد الوارد اسمه فيها فقد يجوز ان يكون محرفاً عن محسد واما الحسين فقد يجوز ان يكون شيخاً له وعلى كل الرواية غامضة .

هذا كل ما حققته من نسب المتنبي ومن اهله في عصره وايامه ، واما ما يتعلق بزوجته وبقية اهله فهو خاف علينا . دمشق : في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٩٣٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net